مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 4 Year : 2022

المجلد: ٦ العدد: ٤ السنة: ٢٠٢٢

في هذا العدد:

- الكليات القرآنية ودورها في ضبط فهم النص القرآني: دراسة موضوعية
  نواف سعيد عوض المالكي
- غيض الأرحام في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية
  فاطمة خالد المبرد
- المقاصد الشرعية في عدم مراعاة الأحداث في ترتيب مطالع سور القرآن "الأنفال والحشر والممتحنة نموذجاً"
  عبدالمعين محمد الطلفاح
- اختيارات الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في مصطلح الحديث
  محمد عبدالله جباش
- قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، وأثرها في الصناعة الفقهية المعاصرة
  فضل بن عبدالله مراد
- جريمة الاحتيال المالي من منظور الفقه الإسلامي والنظام السعودي "دراسة تحليلية مقارنة"
  حنان بنت يوسف أحمد الجعشاني - ياسر محمد عبدالرحمن طرشاني - إبراهيم توه يالا
- الترجيح بين المصالح المتعارضة عند الإمام ابن تيمية
  علي شافي الهاجري - عيسى ناصر السيد
- الحرب غير المشروعة في الفقه الإسلامي مقارنة بالقانون الدولي
  فاطمة صالح ظرمان
- الفحص الطّبي قبل الزواج بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة القطري: دراسة مقارنة
  محمد بن علي الكعبي
- الدستور الإسلامي مفهومه ونشأته، ومصادره وخصائصه: جمعا ودراسة
  عبدالقادر عثمان عبدالسلام - نادي قبيصي سرحان
- المسابقات القرآنية وأثرها التربوي والاجتماعي
  أنور بن عمر بن موسى هوساوي
- معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره: (مفاتيح الغيب)
  عبدالله عثمان علي المنصوري

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

تصدرها
PUBLISHED BY
كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية
FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES
AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 4,Dec 2022

THE QUR'ANIC GENERAL RULES AND THEIR IMPACT ON UNDERSTANDING THE QUR'ANIC TEXT: OBJECTIVE STUDY

Nawaf Saeed Awad Al Maliki
Associate Professor, Department Of Qur'anic Qirā'āt, College Of Da`Wah And Fundamentals Of Religion - Umm Al-Qura University
E-mail: nsaeed79@gmail.com

Abstract

This research deals with the Quranic universal rules contained in the Holy Quran because there is no independent research interested in studying this important and vital issue in the Holy Quran. The problem of the research is not to find out about previous studies that dealt with the Qur'anic general rules, especially for understanding the Qur'an text. The research aims to: identify the most important general rules and regulations set by the Qur'an for those who want to understand it properly. The researcher followed the descriptive analytical method to study the subject. The research was divided into two chapters: the first: in the Qur'anic universal rules related to God Almighty, and the second: in the Qur'anic universal rules related to creatures. The research concluded with several results, most notably:What is meant by the "Quranic universal rule" is the verses that contain the word "every" and denote general and comprehensive rules and meanings,The Holy Qur'an indicates the versatility of the divine power, the comprehensiveness of God's knowledge, and God's care for every creature with preservation and sustenance,All creatures are obedient to God Almighty,God Almighty does not love every infidel, traitor, arrogant, extravagant in sins,Every soul will be held accountable in the hereafter for what it has done in this world,Every human being has sinned in this world, so his inevitable fate is loss and God's torment.

Keywords: general rule, Qur'an, understanding, text.

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية

eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد 4، ديسمبر 2022م

الكليات القرآنية ودورها في ضبط فهم النص القرآني: دراسة موضوعية

نواف سعيد عوض المالكي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات، بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

المستخلص

يتناول هذا البحث الكليات القرآنية الواردة في القرآن الكريم لعدم وجود دراسة مستقلة تُعنى بدراسة هذه القضية المهمة والحيوية في القرآن الكريم. وتتمثل مشكلة البحث في عدم الوقوف على دراسات سابقة تناولت القواعد الكلية القرآنية خاصة لفهم النص القرآني، فأغلب الدراسات المطروحة من قديم إنما هي قواعد عامة وجزئية مستمدة من القرآن الكريم وغيره لفهم النصوص، سواء كانت قرآن أو سنة. ويهدف البحث إلى: الوقوف على أهم القواعد والضوابط العامة التي وضعها القرآن الكريم لمن أراد فهمه على الوجه الصحيح. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي لدراسة الموضوع. وقد انتهى البحث إلى عدة نتائج أبرزها: المقصود بـ"الكلية القرآنية": الآيات التي تحتوي على كلمة "كل"، وتدل على قواعد ومعاني عامة شمولية، دل القرآن الكريم على طلاقة القدرة الإلهية وشمول علم الله تعالى وقيام الله تعالى على كل نفس بالحفظ والرزق، كل المخلوقات طائعون منقادون الله تعالى، لا يحب الله تعالى كل كافر خائن متكبر مسرف في الذنوب والمعاصي، تُحَاسَبُ كل نفس في الآخرة على ما عملته في الدنيا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كل إنسان أجرم في الدنيا، فمصيره المحتوم هو الخسران وعذاب الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الكلية، القرآن، الفهم، النص.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فإن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعصوم، وهو أصل الأصول كلها، وهو القانون والدستور العام الذي وضعه الله تعالى للناس ليرجعوا إليه؛ لذا عكف العلماء على حفظه ودراسته وتفسيره واستنباط القواعد والأحكام منه، وهذا البحث سوف أتناول القواعد الكلية التي وضعها القرآن الكريم، والتي تشتمل على أحكام كلية يندرج تحتها أفراد كثيرون، والتي لا بد أن يراعيها كل مفسر ومتدبر أراد أن يفهم القرآن الكريم ويفسره ويستنبط التشريعات منه.

ولقد جاء القرآن الكريم بمبادئ عامة، وأصول كلية، وضوابط شرعية، في آياته ونصوصه، لتكون منارًا وهداية للعلماء في وضع التفاصيل التي تحقق أهداف الشريعة، وأغراضها العامة، وتتفق مع مصالح الناس، وتطور الأزمان، واختلاف البيئات، وما كان مصدره نصًّا من الكتاب الكريم هو أعلى أنواع الأصول الفقهية وأولاها بالاعتبار، حيث إن الكتاب الكريم هو أصل الشريعة وكليتها وكل ما عداه من الأدلة راجع إليه[1].

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدم الوقوف على دراسات سابقة تناولت القواعد الكلية القرآنية خاصة لفهم النص القرآني، فأغلب الدراسات المطروحة من قديم إنما هي قواعد عامة وجزئية مستمدة من القرآن الكريم وغيره لفهم النصوص، سواء كانت قرآن أو سنة.

والمقصود بـ"الكلية القرآنية" في هذا البحث: **الآيات التي تحتوي على كلمة "كل"، وتدل على قواعد ومعاني عامة شمولية.**

فغرضي في هذا البحث دراسة الكليات القرآنية المشتملة على كلمة "كل" الدالة على العموم والإحاطة.

أهداف البحث:

أهداف البحث كثيرة، ونكتفي بذكر أهمها بإيجاز:

1. الوقوف على أهم القواعد والضوابط العامة التي وضعها القرآن الكريم لمن أراد فهمه على الوجه الصحيح.
2. جمع هذه القواعد في مكان واحد بحيث يسهل على قارئ القرآن الكريم ومفسره من معرفة الطريقة

[1] ينظر: الزحيلي، **القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة**، ج1، ص29؛ بورنو، **موسوعة القواعد الفقهية**، ج1، ص36.

الصحيحة لفهم كلام الله تعالى.

3. خدمة المكتبة الإسلامية بسد ثغرة من أهم الثغرات التي تتعلق بخدمة الكتاب العزيز.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتمثل أهمية هذا البحث في أن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره، وقد يضع قواعد عامة يلتزم بها قارئ كلامه ليفهمه على الوجه المراد، وحينها لا يجوز لأي أحد مهما كان أن يعرض عن هذه القواعد وتلك الضوابط التي وضعها صاحب الكلام ويتخطاها إلى قواعد أخرى يضعها هو، وإلا خرج عن الطريق الصحيح الذي رسمه صاحبه للوصول إلى المقصود على أتم وجه.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا المبحث هو المنهج الوصفي الذي من خلاله تتم دراسة القواعد القرآنية كما هي في الحقيقة، ووصفها وصفا دقيقا، مع التدليل عليها، وجمعها وإبرازها في بحث مستقل للتسهيل على الباحثين في الرجوع إليها، وليس المقصود حصر هذه القواعد ووصفها جميعًا؛ إذ البحث لا يسع ذلك، وإنما ننتقي أهم هذه القواعد التي تخدم البحث ونبينها بيانًا علميًّا.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات سابقة تناولت "القواعد القرآنية الكلية" بخصوصها، والدراسات الموجودة إنما هي دراسات عامة تتناول قواعد مأخوذة من القرآن الكريم وغيره، وهذه الدراسات إما أن يجدها القارئ مندرجة في كتب علوم القرآن تحت عنوان "القواعد التي يحتاج إليها المفسر" أو "الأدوات التي يحتاج إليها المفسر" أو "العلوم التي يحتاج إليها المفسر" كما فعل الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"[1] ومن المتأخرين الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه الماتع "مناهل العرفان في علوم القرآن". أو يجدها في كتب مستقلة وضعها بعض المعاصرين، كما فعل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، وكما فعل الشيخ خالد السبت في كتابه "قواعد التفسير"، إلا أنني لم أقف على من تناول القواعد القرآنية الكلية بخصوصها بالبحث والدراسة.

[1] ينظر: النوع الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. والنوع الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها. من كتاب: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت911هـ).

المبحث الأول: الكليات القرآنية المتعلقة بالله تعالى

المطلب الأول: الكليات القرآنية المتعلقة بقدرة الله تعالى وعلمه

دل القرآن الكريم على شمول قدرة الله تعالى لكل الموجودات، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]. وأن كل ما يدب ويتحرك فإنما هو من بديع خلقه وحده سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: 164].

قال القاضي البيضاوي رحمه الله: ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ بالنبات ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ عطف على أنزل، كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الأرض، أو على أحيا، فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة. والبث النشر والتفريق. وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ في مهابها وأحوالها[1].

والعلم بشمول قدرته سبحانه ينبغي أن يكون ملء قلب كل مؤمن، كأنه حقيقة مشاهدة وليس خبرا يمر بعقله من غير استقرار، وكيف لا؟! وهو مطالب بالإيمان اليقيني الذي يؤهله أن يناقش غيره، وهو سر طلب إبراهيم عليه السلام لرؤية إحياء الموتى، ليخبر غيره عن رؤية حسية، فينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، فيرى القدرة تصنع بدون أسباب ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ [البقرة: 260].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام، أسبابًا، منها: أنه لما قال لنمروذ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] أحب أن يترقى من علم اليقين في ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة"[2].

وكذلك العبد الصالح –على أرجح الأقوال– ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ [البقرة: 259].

---

[1] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج1، ص117.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص689.

والذي مر على القرية هو رجل صالح وليس بكافر وإلا لم يستجب الله تعالى لطلبه فهو أراد اليقين العيني فأعطاه الله تعالى من نفسه مثلا على قدرته، بل رجح الطاهر بن عاشور أنه كان نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام[1].

وقد وضعت هذه الآيات قاعدة في فهم النص القرآني هذه القاعدة هي: القول بعصمة الأنبياء عليهم السلام، ففي ضوء هذه القاعدة نفهم قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: 88، 89]. وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: 62، 63]. وعندما تكلم رسول الله ﷺ عن هذه الآية والتي ظاهرها نسبة الشك لإبراهيم عليه السلام بين أنه لم يشك؛ لأنه رسول من الله تعالى مثل رسول الله محمد ﷺ، ومثلهما لا يشك؛ ولذلك قال ﷺ: "نحن أحق بالشك من إبراهيم"[2]. أي نقطع بعدم شكه لقطعنا بعدم شكنا، فينبغي أن نعمل هذه القاعدة في كل ما ظاهره يخرم عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك لقول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: 124]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: 75].

وكما أن قدرة الله تعالى تكون في الكونيات وما حولنا من مخلوقات فهي كذلك عاملة ومتصرفة في حياة البشر، وأعمالهم وتصرفاتهم وأسبابهم فلا يفهم بشر تفرده بالأمر دون تقدير رب العالمين، بل هو من يعطي ويمنع، ومن ذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: 26].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد، معظما لربك ومتوكلا عليه، وشاكرًا له ومفوضًا إليه: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: لك الملك كله ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾. أي: أنت المعطي، وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ... ثم قال: أي: أنت المتصرف في خلقك، الفعال لما تريد، كما رد تبارك وتعالى على من يتحكم عليه في أمره، حيث قال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 32]. الآية أي: نحن نتصرف في خلقنا كما نريد، بلا ممانع ولا مدافع، ولنا الحكمة والحجة في ذلك، وهكذا نعطي النبوة لمن نريد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص35.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: 260]، ج6، ص31، رقم (4537)؛ مسلم، **المسند الصحيح**، كتاب الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، ج4، ص1839، رقم (152).

عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: 124]. وقال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: 21]"[1].

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة "إسحاق بن أحمد" من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه قال رحمه الله: "بينما أنا أدور في بلاد الروم، وقفت على قصر عادي مبني من رخام أبيض كأن أيدي المخلوقين رفعت عنه تلك الساعة، عليه مصراعان مردومان عليهما كتاب بالحميرية، فطلبت من قرأه، فإذا هو مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، ما اختلف الليل والنهار، ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا بثقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك، وملك ذي العرش دائم أبدًا ليس بفان ولا بمشترك"[2].

وفهم هذه الآيات يعطي قاعدة في فهم النص الشرعي، وهي: أن قدرة الله تعالى تعمل بالمباشرة، وتعمل من وراء الأسباب، فالملك يحصله صاحبه بأسباب ظاهرة ووسائط توصل إليه، ولكن الآية الكريمة تصرح بأن ذلك من الله تعالى لا غير، فدل ذلك على أن الأسباب ساترة لقدرة الله العظيم، والقدرة هي الفاعل الحقيقي.

ومن عموم قدرته سبحانه أنه –وحده– الذي يفرج الكروب، –كل الكروب– فلا يقصد بالدعاء والرجاء غيره سبحانه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: 63، 64]. يقول أبو جعفر الطبري –رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة، إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البر والبحر: الله القادرُ على فَرَجكم عند حلول الكرب بكم، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البر والبحر من همّ الضلال وخوف الهلاك، ومن كرب كل سوى ذلك وهم لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه، التي لا تقدر لكم على نفع ولا ضرّ، ثم أنتم بعد تفضيله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب، ودفع الحالّ بكم من جسيم الهم، تعدلون به آلهتكم وأصنامكم، فتشركونها في عبادتكم إياه. وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم، وكفر لأياديه عندكم، وتعرضٌ منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم[3].

ومن عموم قدرته سبحانه علمه بما عند كل نفس من صغير وكبير ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: 33].

---

[1] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص29.

[2] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج8، ص99.

[3] الطبري، **جامع البيان**، ج11، ص415 وما بعدها.

قال ابن عادل رحمه الله: "والمعنى: والمعنى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت، أي: حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما علمت، وجوابه محذوف، تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه"[1].

فالله تعالى عالم بكل نفس –بار أو فاجر– ويرزق الجميع ويرعى الجميع، هكذا يخبر الله تعالى، فمن كان عنده من يفعل ذلك –غير الله تعالى– فليخبرنا باسمه، فإن لم تعطونا اسما غير الله تعالى، فاعلموا أنكم بعيدون عن السبيل ضالون في الطريق مصرون على العصيان وليس لكم من هاد.

ومن عموم قدرته سبحانه، خلقه لكل شيء، وذلك دليل على وحدانيته ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: 101، 102]. فالله سبحانه يرد على من يدعي له الولد بأن كل ما سوى الله تعالى فهو مخلوق، وليس من خالق إلا الله تعالى، فهو القادر وما سواه عاجز، فقدرته شملت كل شيء، قال المفسرون رحمهم الله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فِيه دليل على أن لا ولد له؛ لأنه إِذا كَانَ خلق كل شَيْء؛ لم يصلح شَيْء أَن يكون ولدا لَهُ؛ إِذْ الْمَخْلُوق لَا يصلح ولدا للخالق؛ فَإِن ولد كل أحد يكون من جنسه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[2].

ومن عموم القدرة، تأثيرها في المخلوقات بالخضوع التام، وأنه لا يوجد شيء من مخلوقات يمت له بنسب إلا العبودية كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة: 116].

وهذه النصوص قد أعطت الفقهاء قاعدة في فهم نصوص القرآن الكريم خاصة ونصوص الشرع عامة، أشار إليها الإمام الطوفي حيث قال رحمه الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ يعني اليهود والنصارى والكفار ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزه عن ذلك ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أن الولدية تنافي الملكية، وما في السماوات والأرض بأسره مملوك له فيمتنع أن يكون شيء منها ولدا له. ويستفاد من هذا أن من ملك ولده عتق عليه بنفس الشراء؛ لأن الولدية تنافي الملكية، ثم إن بعضهم قاس باقي ذوي الأرحام المحرم على الولد وهو مذهب أحمد"[3].

---

[1] ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج11، ص311.

[2] ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج2، ص131.

[3] الطوفي، **الإشارات الإلهية**، ص67.

المطلب الثاني: الكليات القرآنية المتعلقة بما لا يحبه الله تعالى من الشر

من تصريف الله تعالى لكونه بيانه سبحانه للصفات التي لا ترضيه في أي أحد من خلقه –على وجه الشمول والكلية– كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 276]، وقوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: 38]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: 18]، وقوله سبحانه: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: 23].

ومعنى هذه الصفات: أولا: الكفار والكفور: فعال وفعول: صيغتا مبالغة من الكفر، أي: أنهما ارتكبا كفرا كبيرا وكثيرا. قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: والكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بِالْكَافِرِ لستره الأشخاص، والزّرّاع لستره البذر في الأرض.. وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء: 94]. وأعظم الكُفْرِ: جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النّبوّة، والكُفْرَانُ في جحود النّعمة أكثر استعمالا، والكُفْرُ في الدّين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعا. قال: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: 99]. ويقال منهما: كَفَرَ فهو كَافِرٌ[1].

والأثيم: أيضا فعيل صيغة مبالغة من الإثم، قال ابن منظور رحمه الله: "(إثم) الإِثْمُ الذَّنْبُ وقيل هو أَن يعمَل ما لا يَحِلُّ له وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: 33]، وقوله عز وجل: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ [المائدة: 107]. أي: ما أُثِم فيه، والأَثِيم وهو فَعِيل من الإِثم والمأْثَم الأَثامُ وجمعه المآثِم"[2].

والخوان: فعال مبالغة من الخيانة، قال الراغب رحمه الله: "الخِيَانَة والنّفاق واحد، إلا أنّ الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنّفاق يقال اعتبارا بالدّين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ. ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خُنْتُ فلانا، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: 27]"[3].

والمختال هو المتكبر، قال ابن منظور رحمه الله: "والخَيْل والخُيَلاء والخِيَلاء والأَخْيَل والخَيْلة والمِخيلة كُلُّه الكِبْر وقد اخْتالَ وهو ذو خُيَلاءَ وذو خالٍ وذو مَخِيلة أَي ذو كِبْر... فالمخْتال المتكبر. قال أَبو إِسحاق: المخْتال الصَّلِف المَتَباهي الجَهُول الذي يَأْنَف من ذوي قَرابته إِذا كانوا فقراء، ومن جِيرانه إِذا كانوا كذلك، ولا يُحْسن

---

[1] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص714.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص5، مادة "أ ث م".

[3] ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص305.

عِشْرَتَهم"[1].

وفَخُورٍ: فعول من الفخر، والفَخْرُ: المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه، ويقال: له الفَخَرُ، ورجل فَاخِرٌ، وفُخُورٌ، وفَخِيرٌ، على التّكثير. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]. ويقال: فَخَرْتُ فلانا على صاحبه أَفْخَرُهُ فَخْراً: حكمت له بفضل عليه، ويعبّر عن كلّ نفيس بِالْفَاخِرِ. يقال: ثوب فَاخِرٌ، وناقة فَخُورٌ: عظيمة الضّرع، كثيرة الدّر، والفَخَّارُ: الجرار، وذلك لصوته إذا نقر كأنما تصوّر بصورة من يكثر التَّفَاخُرَ. قال تعالى:﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14][2].

ففي هذه الآيات يبين الله تعالى عدم رضاه عن أصحاب هذه الصفات، وفي ذلك دعوة لأصحابها أن يتخلوا عنها، ثم دعوة لعموم الناس ألا يتخلقوا بها ويبتعدوا عمن توجد فيه تلك الصفات.

وفهم هذه الآيات يفيد قاعدة كلية في فهم نصوص أخرى، حيث إن تحديد من لا يحبهم الله تعالى يبين أن الله تعالى يحب أفعالاً ويبغض أخرى، والمكلف مطالب بأن يفعل ما يحبه الله تعالى ويبتعد عما يبغضه سبحانه، فإذا وقف القارئ للقرآن على مثل قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: 40]. ومثل قوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [الأنعام: 135]. ومثل قوله سبحانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞ﴾ [هود: 93]. فإنه يجب عليه أن يفهم أن هذا تهديد وليس إباحة لعمل ما يريدون.

المطلب الثالث: الكليات القرآنية المتعلقة بعدل الله تعالى

من تصريف الله تعالى لكونه عموم الجزاء، والتوفية لكل نفس بلا بخس ولا ظلم ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281]، ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥﴾ [آل عمران: 25]، ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: 30].

ففي هذه الآيات تذكير وتخويف لأصحاب المعاصي من هذا اليوم العظيم، يوم الرجوع إلى رب العالمين، قال الخازن رحمه الله: "﴿وَٱتَّقُواْ﴾ [البقرة: 281] أي: وخافوا ﴿يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قرئ بفتح التاء، أي: تصيرون فيه إلى الله تعالى، وقرئ بضم التاء وفتح الجيم، أي: تردون فيه إلى الله تعالى، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ يعني: من خير أو شر، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم. وفي هذه الآية وعد شديد وزجر عظيم. قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ. فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص228، مادة "خ ي ل".

[2] ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص627.

سورة البقرة. وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحدًا وعشرين يومًا. وقيل: تسع ليال. وقيل سبعا. ومات ﷺ لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة"[1].

وهذه الآيات تعطي معاني عظيمة: منها: تربية الضمير والرقابة الذاتية، فالمؤمن بيوم القيامة يفعل الصالحات بدافع داخلي ويبتعد عن المحرمات وما يفسد في الأرض ولو كان وحده لا يطلع عليه أحد. ومنها: "ما" في قوله: ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عامة فتشمل الصغير وما قد ينساه الإنسان، فيجب دوام الخوف والتضرع إلى الله تعالى. ومنها: أن هذه الآيات من العام الذي دخله التخصيص، فالمراد بكل نفس: المكلفة، وخرج بذلك من لم تكلف كالصبيان والمجانين والبهائم ونحوهم.

المطلب الرابع: الكليات القرآنية المتعلقة بالإحياء والإماتة

من تصريف الله تعالى لكونه تقرير حقائق واقعية مرئية للتذكير، ثم للتحذير مما يترتب عليها، وذلك كحقيقة الموت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: 26]، فالموت والحياة يشهدهما كل إنسان، ولكن العبرة منهما تحتاج إلى تذكير وإيقاظ للقلوب لتعرف لم خلق الله تعالى الموت والحياة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2]. وهذه المعرفة لا تكون حقة إلا بالعمل على أساسها، وإلا كانت مجرد خبر مر بالنفس ثم ذهب، ولكي نفهم عظم الأمر كلمنا القرآن الكريم بمفهوم الفوز والخسارة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]. ولذلك قال ابن الجوزي رحمه الله: "وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا وتنبيه على اغتنام الأجل. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: 185] بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين. ثم قال: قوله تعالى: ثم قال: قوله تعالى: فَمَنْ زُحْزِحَ قال ابن قتيبة: نُحِّي وأُبعد. فَقَدْ فازَ قال الزجاج: تأويل تأويل فاز: تباعد عن المكروه ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز. قوله تعالى: وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إلا مَتاعُ الْغُرُورِ يريد أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنّيه من طول البقاء، وسيقطع عن قريب. قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها"[2].

---

[1] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج1، ص213.

[2] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج1، ص355-356.

ومن فوائد الاتعاظ بالموت أن الإنسان وقت الخير لا يبطر، ولا يتكبر، وفي وقت الشدة لا يجزع، ويعلم أن كل ذلك ابتلاء واختبار من الله تعالى، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: 35]، وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: نختبركم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وكلها بلاء. وانظر إلى دقة التعبير ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ولفظ "الذوق" يعبر عن الإحساس بلحظات الموت، فهو ليس بابًا للخروج، ولكنه روح متلبسة بالبدن تجري في كل شعرة ببدنك تحس وتتذوق طعم المفارقة والهلاك؛ لأن الموت ليس عدمًا محضًا، ولكنه انتقال من دار إلى دار.

قد ذكرنا أن من تصريف الله تعالى لكونه تقرير حقائق واقعية مرئية للتذكير، ثم للتحذير مما يترتب عليها، وتكلمنا عن الموت وهو مرئي لكل ناظر، ويتبع هذا العنصر الأمور الواقعية ولكنها تظهر بالبحث، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: 45].

من المفسرين من يقول بأولية خلق الماء، ومنه خلق كل شيء، ومنهم من يقول بخلق ما نراه أمامنا على الأرض فقط من الماء من أنس وحيوانات، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ثلاث تأويلات:

- **أحدها**: أنه خلق كل شيء من الماء. قاله قتادة.
- **الثاني**: حفظ حياة كل شيء بالماء.
- **الثالث**: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي. قال قُطْرُب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى: خلقنا.

والكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 23]، وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ﴾ [الأحقاف: 25]. والصحيح العموم؛ لقول: "**كل شي خلق من الماء**"، والله أعلم"[1].

وفي الآية دلالة على عظيم قدرة الله تعالى من ناحيتين:

الأولى: أن الأصل واحد –الماء– والناتج عنه مختلف بل لا يوجد اثنان من نوع واحد يشبهان بعضهما.

الثانية: أن الماء سائل لا يكاد يتماسك ومنه كل الدواب المتماسكة، فسبحان من خلق فأبدع وصور فأحسن.

---

[1] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص284 وما بعدها بتصرف يسير.

ويستفاد من هذه النصوص السابقة الدالة على قدرة الله تعالى في أفعاله وتصرفاته قاعدة مهمة في فهم نصوص القرآن، وهي: أن المفسر للقرآن لا بد أن يستحضر أن الله تعالى قادر على كل شيء، وأن قدرته محيطة بكل شيء، وأنه الخالق لكل شيء، لا خالق سواه، فإنه إذا استحضر هذه المعاني عند فهم النصوص القرآنية فإن ذلك يعصمه من الزلل والتحريف لكلام الله تعالى، حتى لا يقع فيما وقعت فيه الفرق الضالة، مثل المعتزلة التي نسبت الخلق والإيجاد للعباد.

المبحث الثاني الكليات القرآنية المتعلقة بالخَلْق

المطلب الأول: الكليات القرآنية المتعلقة بالعصاة

من بيان الله تعالى لمعاملته لعباده بيانه لخيبة كل ظالم جبار فقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم: 15]. و﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ يُعْنَى به الرسُلُ، سألوا الله تعالى أن يفتح عليهم، أي: ينصرهم. وكل نصْرٍ فهو فَتْحٌ، وكل نصر فهو فتح، والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا، والعنيد الذي يعدل عن القصد[1]. والاستفتاح فيه معنى الطلب، أي طلب الفتح وهو الحكم بين الفريقين، بما يقصم ظهر الظالم منهما، وهذا قد طلبه بعض الرسل عليهم صلوات الله وسلامه من مثل قول نوح : ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 10-17].

ومثل موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: 88، 89].

وقد وقع استفتاح من المشركين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: 32]. وقولهم: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: 16]. ونحو قول أبي جَهْل يوم بَدْرٍ: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة، قال -أي: الراوي-: فكان ذلك استفتاحا منه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الآية[2].

---

[1] ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج3، ص156.

[2] ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف**، كتاب المغازي، باب: غزوة بدر الكبرى وما كانت وأمرها، ج14، ص359، رقم (37829).

يقول صاحب "المنار" رحمه الله مرجحًا أن الاستفتاح من المشركين: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾. قيل: إن الخطاب للكفار، ذكر خذلانهم وإضعاف كيدهم، ثم التفت عنه إلى تذكيرهم وتوبيخهم على استنصارهم إياها على رسوله ﷺ. ذكر محمد بن إسحاق وعروة عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير "أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينا كان أقطع للرحم، وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة. فكان ذلك استفتاحًا منه". رواه عنه أحمد، ورواه النسائي في التفسير والحاكم في المستدرك عن الزهري، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم. وقال السدي: كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله تعالى وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فقال الله تعالى: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول: قد نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ. وفي رواية: «أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللهم رب ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأي الدينين كان أحب إليك، وأرضى عندك فانصر أهله اليوم». فالفتح هو نصر النبي ﷺ ودينه وأتباعه. وهذا يدل على أن أبا جهل كان مغرورًا بشركه واثقًا بدينه»[1].

ويستفاد من دراسة هذا النصوص قاعدة مهمة، وهي: أن من يريد أن يفهم كلام الله تعالى وأن يفتح له من فضله وجوده وعطائه، عليه أن يتحلى بتقوى الله تعالى، فمن يترك التقوى ويتجبر ويعاند يخيب سعيه ويذهب إلى حتفه، ومن يترك التقوى ليس محلا لرحمات الله ولا أهلا لفيوضاته، ومن يتق الله ينفعه الله بكل ما يقرأ ويسمع ففهم النصوص لا يتنزل على جبار ولا عنيد ولا صاحب أي الصفات المذمومة. ويستفاد كذلك خطورة الكلمة وأن القضاء موكول بالمنطق، فلا يجوز الدعاء على النفس ولا على ولد أو مال.

المطلب الثاني: الكليات القرآنية المتعلقة بالرزق

من معاملة الله تعالى لخلقه أنه سبحانه يعطي كل إنسان ما سأله من فضله، ولكن الإنسان يظلم نفسه، ويجحد فضل ربه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]. يعني: أن الله تعالى أعطاكم كل ما تحتاجون إليه مما يفيدكم ويصلحكم في أحوالكم ومعاشكم، والواقع يقول: إن الناس قد يَسْأَلون الله تعالى أشياء ولا يعطيهم إياه، وهنا نقول: إن المنع هو عين العطاء لسعة علم الله تعالى بكل شيء، فهو يعلم الأصلح للناس وما قد يترتب على المنفعة العاجلة من مفاسد وشرور، وفي المواقف التي وقعت لموسى عليه السلام مع الخَضِر والتفسيرات التي ذكرها مقنع لذي لب وفهم، وعلى هذا الفهم يكون كل سؤال لله تعالى فيه عطاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]. وربنا سبحانه لا أحد أصدق منه، أما ما هو هذا العطاء الذي يستجيب الله تعالى به دعاءنا فهذا ما يجب تفويضه إلى فضل الكريم سبحانه.

والواقع يقول أيضًا: إن نعمًا كثيرة أعطانا الله تعالى إياها بدون مسألة، علمنا بعضها، وجهلنا معظمها،

[1] رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"**، ج9، ص519.

يفسر لنا هذا وقف بعض القراء على لفظ "كل" بدون أخذ نفس ثم البدء بـ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34] على أن "ما" نافية لا موصولة، فيصير المعنى وآتاكم من كل شيء من غير مسألة، وهذا الواقع الذي ذكرته هو ما جعل المفسرين يختلفون في جعل "من" للتبعيض أو للبيان. قال الإمام النسفي: "﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ "من" للتبعيض، أي: آتاكم بعض جميع ﴿سَأَلْتُمُوهُ﴾ ، أو وآتاكم من كل شيء وما لم تسألوه، فـ"ما" موصولة، والجملة صفة لها، وحذفت الجملة الثانية؛ لأن الباقي يدل على المحذوف، كقوله: سرابيل تقيكم الحر من كل من كل، عن أبي عمرو: وما سألتموه نفي، ومحله النصب على الحال، أي: آتاكم من جميع ذلك غير سائليه، أو ما موصولة، أي: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه، فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال»[1].

وفهم الآية الكريمة يعطينا قاعدة في فهم النص الشرعي وهي: أن النصوص الشرعية لا تتعارض مع الواقع المحسوس، فمن ظن تعارضًا بين النص الشرعي والواقع الملموس، فالخطأ في فهمه للنص أو إدراكه للواقع؛ لأن النص من تنزيل رب العالمين، والواقع من تقدير العزيز العليم.

المطلب الثالث: الكليات القرآنية المتعلقة بإرسال الرسل

من معاملة الله تعالى لعباده أنه عمهم بالهداية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: 36].

ففي هذه الآية يبين سبحانه عموم هدايته لعباده حيث بعث في كل أمة من المكلفين رسلا يدعوهم إلى الله سبحانه وحده وترك ما سواه سبحانه، فمنهم من اهتدى وسلك سبيل الحق، ومنهم من ضل، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: 131]. أي: إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لئلا يعاقب أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: 8، 9]، والآيات في هذا كثيرة[2].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ [الفرقان: 51]. فهذا في الكلام على عموم

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج2، 174 وما بعدها.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص341.

رسالة محمد ﷺ، وأنه وكتابه ورسالته يغنون عن إرسال رسول في كل أمة، قال الخازن رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ أي: رسولاً ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة، ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ أي: بالقرآن الكريم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: شديدًا[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ يدعوهم إلى الله عز وجل، ولكنا خصصناك -يا محمد -بالبعثة إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن الكريم، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: 17]، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]. وفي الصحيحين: "بعثت إلى الأحمر والأسود". وفيهما: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة". ولهذا قال: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾. يعني: بالقرآن الكريم، قاله ابن عباس ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73؛ والتحريم: 9]"[2].

ويستفاد من هذه النصوص قاعدة مهمة في فهم النصوص القرآنية، وهي: هيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السابقة، وأن ما نراه من اختلاف بين ما ورد في الكتاب العزيز وما ورد في الكتب السابقة نعلم أن نسخ القرآن الكريم قد نسخها.

المطلب الرابع: الكليات القرآنية المتعلقة بحساب الآخرة

من معاملة الله تعالى لعباده: سؤاله الإنسان عن كل جوارحه، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36].

قال الخازن رحمه الله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أي: ولا تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. أي: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم. وقيل: معناه لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم. وقيل: لا يتبعه بالحدس والظن. وقيل: هو مأخوذ من القفا، كأنه يقفو الأمور ويتتبعها ويتعرفها، والمراد: أنه لا يتكلم في أحد بالظن، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. معناه: يُسْأَلُ المرء عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: يُسْأَلُ السمع البصر والفؤاد عما فعله المرء، فعلى هذا ترجع الإشارة في في أولئك إلى الأعضاء، وعلى القول الأول ترجع إلى أربابها"[3].

---

[1] الخازن، **لباب التأويل**، ج3، ص316.

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص116.

[3] الخازن، **لباب التأويل**، ج3، ص130.

ويستفاد من هذه الآية قاعدة غاية في الأهمية في فهم النصوص القرآنية، وهي: ألا يتكلم أحد في دين الله تعالى وهو غير مستكمل لأدوات فهم الشرع الشريف.

وأهم هذه الأدوات هو إتقان اللغة العربية والإلمام بمعانيها وأساليبها؛ ولذا نجد السلف والخلف قد شددوا في هذا الجانب أيما تشديد، وحثوا على تعلم العربية وعلومها، ورغبوا فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها في فهم كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ، وفهم كلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ فهم حملة هذا الدين والمبينون عما فيه، وحذروا ممن لا يحسنها أو أنه يعرف شيئا منها ولكن لا يتقنها ويتصدر لتفسير كلام الله تعالى، وقد ذكر الإمام الواحدي طرفا من هذه الآثار عن السلف، من ذلك: أنه روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: بينا عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر، فقال: يأيها الناس، ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]؟ فسكت الناس. فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه لغتنا بني هذيل، التخوف: التنقص، قال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تَامِكًا صُلْبًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[1]

فقال عمر رضى الله عنه: يأيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: إذا قرأ أحدكم شيئًا من القرآن الكريم فلم يدر ما تفسيره، فليلتمسه في الشعر، فإنه ديوان العرب. وعن عكرمة أيضا، عن ابن عباس، أنه كان يُسْأَلُ عن الشيء من عربية القرآن الكريم فينشد الشعر.

وذكر الإمام الواحدي أنه قَلَّ من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب، ومقاييس العربية، والنحو، وأنه ما حدثت البدع والأهواء المضلة إلا من الجهل بلغة العرب، وذكر ذم السلف لهؤلاء، فعن الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب. وعن الأصمعي: تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفرت بكلمة، قال الله تعالى لعيسى: "أنت نبيِّي وأنا ولَّدتك" فخففوها.

ولذلك شددوا على من تصدر للتفسير ولم يتقن العربية وتوعدوه بالسوء، فعن الإمام مالك بن أنس أنه قال: "لا أُوتى برجل يفسر كتاب الله تعالى غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً".

---

[1] التخوف: التنقص شيئًا فشيئًا. والتامك: السنام المرتفع. والنبعة: واحدة النجع؛ وهو شجر تُتخذ منه القسي. والسفن: مبرد الحديد الذي ينحت به الخشب. يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع، كما تنقص المبرد عود النبع. ينظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج1، ص966، مادة "خ و ف"، مادة "خ و ف"، وج2، ص1708، مادة "س ف ن"؛ الجوهري، **تاج اللغة**، ج4، ص1359، مادة "خ و ف"؛ القالي، **الأمالي**، ج2، ص112؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص1292، مادة "خ و ف"، وج4، ص2032، مادة "س ف ن".

وذكر أنه إن استغنى علم عن الأدب، إلا أن الأدب ومعرفة اللغة العربية من ضرورة التفسير وعلم القرآن الكريم، ولا تكاد تجد ذلك متأتيا لمن لم يُمرن عليها، ولم يتدرب بها، وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه، وبعد أغراضه لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله الطيبين في زمان أهله يتحلون بالفصاحة، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة؟! وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح[1].

خاتمة البحث

تناول هذا البحث "القواعد الكلية في القرآن الكريم ودورها في ضبط فهم النص القرآني"، ومن المعلوم أن لكل عمل علمي نتائجَ وثمراتٍ في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج والمقترحات أثناء عملي، أريد أن أسجلها فيما يلي:

أولا: نتائج البحث:

توصلتُ إلى عدد من النتائج العلمية المرتبطة بموضوع البحث أسجلها في التالي:

1– لا بد لمن يريد أن يفهم القرآن الكريم ويفسره أن يتعلم الكليات القرآنية أولاً؛ حتى لا يقع في الزلل والخطإ في فهم كلام الله تعالى.

2– المقصود بـ"الكلية القرآنية": الآيات التي تحتوي على كلمة "كل"، وتدل على قواعد ومعاني عامة شمولية.

3– دل القرآن الكريم على طلاقة القدرة الإلهية وشمول علم الله تعالى وقيام الله تعالى على كل نفس بالحفظ والرزق.

4– كل المخلوقات طائعون منقادون لله تعالى.

5– لا يحب الله تعالى كل كافر خائن متكبر مسرف في الذنوب والمعاصي.

6– تُحَاسَبُ كل نفس في الآخرة على ما عملته في الدنيا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

7– كل مخلوق قد كُتب عليه ذوق الفناء والموت.

8– كل إنسان أجرم في الدنيا، فمصيره المحتوم هو الخسران وعذاب الله تعالى.

---

[1] ينظر: الواحدي، **التفسير البسيط**، ج1، ص398 وما بعدها.

9– منَّ الله تعالى على بني آدم بالرزق وإجابة كل يطلبونه من رزق على هذه الأرض.

10– ما من أمة إلا وقد بعث الله تعالى فيها رسلاً مبشرين ومنذرين.

11– يُسْأَلُ كل إنسان في الآخرة عن النعم التي من الله تعالى عليه بها وماذا عمل بها.

ثانيا: التوصيات:

توصل البحث إلى عدد من المقترحات العلمية التي أريد أن أوصي بها إخواني الباحثين، وأريد أن أسجلها في التالي:

1– طرق موضوع القواعد الكلية القرآنية، فهو ثروة علمية ضخمة عظيم النفع، ولم يأخذ حظه من البحث كما ينبغي في كثير من أبوابه، ففيه إضافة عظيمة للمكتبة الإسلامية عمومًا، ولعلوم القرآن الكريم وتفسيره خصوصًا.

2– جمع القواعد الكلية القرآنية وحصرها في كتاب واحد حتى يسهل على الدارسين للقرآن الرجوع إليها عند الحاجة.

3– الاهتمام بقواعد التفسير والأصول واللغة وضبطها، ومعرفة طرق الترجيح؛ حتى يكون الباحث على بصيرة وهو يبحث كلام المفسرين وعند المقارنة بين أقوالهم؛ ليستطيع أن يميز بين الأقوال الصحيحة والضعيفة والراجحة والمرجوحة، وحتى يستطيع أن يصل إلى مراد الله تعالى من كلامه.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] al-Aṣbahānī, Abū Na‘īm Aḥmad ibn ‘Abd Allāh ibn Aḥmad ibn Isḥāq ibn Mūsá ibn mihrān t430h, Ḥilyat al-awliyā’ wa-ṭabaqāt al-aṣfiyā’, (al-Qāhirah : Maṭba‘at al-Sa‘ādah, D. Ṭ, 1394h / 1974m).

[2] al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-ma‘rūf bi-« al-Rāghib » t502h, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, taḥqīq : Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, (Bayrūt : Dār al-Qalam ; Dimashq : al-Dār al-Shāmīyah, Ṭ1, 1412h).

[3] al-Bayḍāwī, al-Qāḍī Nāṣir al-Dīn Abū Sa‘īd ‘Abd Allāh ibn ‘Umar ibn Muḥammad al-Shīrāzī t685h, Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl, taḥqīq : Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī, (Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Ṭ1, 1418 H).

[4] al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl Abī Allāh al-Ju‘fī, al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ﷺ wsnnh wa-ayyāmuh, taḥqīq : Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, (Bayrūt : Dār Ṭawq al-najāh, Ṭ1, 1422h).

[5] al-Taftāzānī, Sa‘d al-Dīn Mas‘ūd ibn ‘Umar al-Ḥanafī t793h, sharḥ al-Talwīḥ ‘alá al-Tawḍīḥ, (al-Qāhirah : Maktabat ṣubyḥ, D. Ṭ, D. t).

[6] Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abī al-Faraj ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī al-Ḥanbalī t597h, Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr, taḥqīq : ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī, (Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Ṭ1, 1422h).

[7] al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Zayn al-Sharīf t816h, alt‘ryfāt, ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu : Jamā‘at min al-‘ulamā’, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1403h / 1983m).

[8] al-Khāzin, ‘Alā’ al-Dīn Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn ‘Umar alshyḥy t741h, Lubāb al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl, taṣḥīḥ : Muḥammad ‘Alī Shāhīn, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1415h).

[9] al-Rāzī, Zayn al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr ibn ‘Abd al-Qādir al-Ḥanafī t666h, Mukhtār al-ṣiḥāḥ, taḥqīq : Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, (Bayrūt : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah ; Ṣaydā : al-Dār al-Namūdhajīyah, ṭ5, 1420h / 1999M).

[10] al-Rūkī, Muḥammad, Naẓarīyat al-taq‘īd al-fiqhī wa-atharuhā fī ikhtilāf al-fuqahā’, Manshūrāt Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah bi-al-Rabāṭ, (al-Dār al-Bayḍā’ : Maṭba‘at al-Najāḥ al-Jadīdah, Ṭ1, 1414h, 1994m).

[11] Riḍā, Muḥammad Rashīd ibn ‘Alī alqlmwny al-Ḥusaynī t1354h, tafsīr al-Qur’ān al-Ḥakīm « tafsīr al-Manār », (al-Qāhirah : al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, D. Ṭ, 1990 M).

[12] Alzzabydy, Abū al-Fayḍ Muḥammad ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Razzāq al-Ḥusaynī, Tāj al-‘arūs min Jawāhir al-Qāmūs, taḥqīq : majmū‘ah min al-muḥaqqiqīn, (Bayrūt : Dār al-Hidāyah, D. Ṭ, D. t).

[13] al-Zajjāj, Abū Isḥāq Ibrāhīm ibn al-sirrī ibn Sahl t311h, ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh, taḥqīq : ‘Abd al-Jalīl ‘Abduh Shalabī, (Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub, Ṭ1, 1408h / 1988m).

[14] al-Sam‘ānī, Abū al-Muẓaffar Manṣūr ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Jabbār ibn Aḥmad al-Marwazī al-Tamīmī al-Ḥanafī thumma al-Shāfi‘ī t489h, tafsīr al-Qur’ān,

taḥqīq : Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn ʻAbbās ibn Ghunaym, (al-Riyāḍ : Dār al-waṭan, Ṭ1, 1418h / 1997m).

[15] 1-Ibn Abī Shaybah, Abū Bakr ʻAbd Allāh ibn Muḥammad al-ʻAbsī al-Kūfī t235 H, al-Kitāb al-muṣannaf fī al-aḥādīth wa-al-āthār, taḥqīq wa-tarqīm : Muḥammad ʻAwwāmah, (Jiddah : Dār al-Qiblah ; Dimashq : Mu'assasat ʻulūm al-Qur'ān, Ṭ1, 1427h / 2006m).

[16] al-Ṭabarī, Abū Jaʻfar Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib t310h, Jāmiʻ al-Bayān ʻan Ta'wīl āy al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākir, (Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, Ṭ1, 1420h / 2000M).

[17] al-Ṭūfī, Najm al-Dīn Abū al-Rabīʻ Sulaymān ibn ʻAbd al-Qawī ibn ʻĪd al-Karīm al-Ṣarṣarī al-Ḥanbalī t716h, al-Ishārāt al-ilāhīyah ilá al-mabāḥith al-uṣūlīyah, taḥqīq : Muḥammad Ḥasan Muḥammad Ḥasan Ismāʻīl, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Ṭ1, 1426/2005m).

[18] Ibn ʻAsākir, Abū al-Qāsim ʻAlī ibn al-Ḥasan ibn Hibat Allāh t571h, Tārīkh Madīnat Dimashq, al-muḥaqqiq : ʻAmr ibn Gharāmah al-ʻAmrawī, (Bayrūt : Dār al-Fikr, D. Ṭ, 1415h / 1995 M).

[19] Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭāhir al-Tūnisī t1393h, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, (Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, D. Ṭ, 1984h).

[20] Ibn ʻĀdil, Abū Ḥafṣ Sirāj al-Dīn ʻUmar ibn ʻAlī al-Ḥanbalī al-Dimashqī al-Nuʻmānī t775h, al-Lubāb fī ʻulūm al-Kitāb, taḥqīq : ʻĀdil Aḥmad ʻAbd al-Mawjūd wa-ʻAlī Muḥammad Muʻawwaḍ, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Ṭ1, 1419H / 1998M).

[21] al-Fayyūmī, Abū al-ʻAbbās Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAlī al-Ḥamawī t nḥw770h, al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb al-sharḥ al-kabīr, (Bayrūt : al-Maktabah al-ʻIlmīyah, D. Ṭ, D. t).

[22] Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : D. ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (Bayrūt : Dār al-Fikr, D. Ṭ, 1399h, 1979m).

[23] al-Qurṭubī, Shams al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ibn farḥ al-Anṣārī al-Khazrajī t671h, al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, (al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, ṭ2, 1384h / 1964m).

[24] Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismāʻīl ibn ʻUmar al-Qurashī albuṣrwy thumma al-Dimashqī al-Shāfiʻī t774h, tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, (al-Riyāḍ : Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, ṭ2, 1420h / 1999M).

[25] al-Kaffawī, Abū al-Baqā' Ayyūb ibn Mūsá al-Ḥusaynī al-Ḥanafī t1094h, al-Kullīyāt, taḥqīq : ʻAdnān Darwīsh wa-Muḥammad al-Miṣrī, (Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, Ṭ1, 1412h / 1991m).

[26] Ibn manẓūr, Jamāl al-Dīn Abū al-Faḍl Muḥammad ibn Mukarram al-Anṣārī al-Ifrīqī al-Miṣrī t711h, Lisān al-ʻArab, (Bayrūt : Dār Ṣādir, ṭ3, 1414h / 1994m).

[27] Muslim, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī t261h, al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-ʻAdl ʻan al-ʻAdl ilá Rasūl Allāh ﷺ,

taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, (Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Ṭ1, 1375h / 1955m).

[28] Ibn al-Najjār, Taqī al-Dīn Abī al-Baqā’ Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Abd al-‘Azīz ibn ‘Alī al-Futūḥī al-Ḥanbalī t972h, sharḥ al-Kawkab al-munīr, taḥqīq : D. Muḥammad al-Zuḥaylī Wad. Nazīh Ḥammād, (al-Riyāḍ : Maktabat al-‘Ubaykān, ṭ2, 1418h / 1997m).

[29] al-Nasafī, Ḥāfiẓ al-Dīn Abū al-Barakāt ‘Abd Allāh ibn Aḥmad ibn Maḥmūd al-Ḥanafī t710h, Madārik al-tanzīl wa-ḥaqā’iq al-ta’wīl, ḥaqqaqahu wa-kharraja aḥādīthahu : Yūsuf ‘Alī Budaywī, rājaʻahu wa-qaddama la-hu : D. Muḥyī al-Dīn Dīb Mastū, (Bayrūt : Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Ṭ1, 1419H / 1998M).

[30] al-Wāḥidī, Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Nīsābūrī al-Shāfiʻī t468h, al-tafsīr al-basīṭ, taḥqīq : majmūʻah min ṭalabat al-duktūrāh bi-Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Saʻūd, ‘Imādat al-Baḥth al-‘Ilmī, (al-Riyāḍ : Jāmiʻat Muḥammad ibn Saʻūd al-Islāmīyah, Ṭ1, 1430 H).